



من فقه التوريث : هل يستقيم الظل والعود أعوج؟!

بقلم: رائف محمد الويشي

9 يناير 2010

المقدمة

أوضح القرآن الكريم أهمية العامل الوراثي عندما أورد دهشة أهل مريم التي دخلت عليهم تحمل المسيح عليه السلام حيث قالوا لها ومذكرين بأصلها الطيب " ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا " ، كما أورد ابن ماجة عن النبي (ص) قوله " إن العرق دساس " ، كذلك انتشرت بين أعراق البشر المختلفة الأمثال التي تؤكد ذلك ، ثم جاء العلم الحديث منحازا لكل ما سبق ..

نحن إذن أمام منحدر خطير تقف مصر على حافته ، إذا كانت أحوال مصر من خلال الأرقام المستقلة التي على الورق ومن الواقع الذي يعيشه الناس تؤكد أن مبارك قد " خربها وجلس على تلها " ، فماذا بوسع ابنه المدلل جمال أن يقدم؟! ..

بدأ مبارك حياته كضابط من أسرة فقيرة وكان أبوه يعمل " نفرا " في مزارع أثرياء شبين الكوم ، ثم وجد عملا في محكمة شبين الكوم وكانت الأسرة جميعها تعيش في شقة من غرفة واحدة ..

أدرك الضابط مبارك منذ بداية حياته العملية أن الثورة التي كانت في حاجة إلى تأمين وجودها تعتمد على أهل الثقة ، فلجأ إلى الوشاية برفاق السلاح من خلال التقارير الأمنية ، وكانت نتيجة ذلك تسلفه السريع في الجيش على حساب الكثير منهم .. لعب القدر لعبته وجاء السادات إلى الحكم وصاحب ذلك علامات استفهام مازالت حتى الآن تبحث عن إجابة ..

(ملحوظة : راجع الحلقة الرابعة من دراسة " حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة " لكاتب المقال) ..

عرف عن السادات علاقاته الخاصة مع أهل محافظته ، وصعد مبارك إلى منصب قائد الطيران في وقت شعر السادات فيه أن الطيران يخطط للانقلاب عليه (واجه السادات محاولتين إنقلابيتين في عامي 71 ، 72 من العيار الثقيل) .. أصبح مبارك نائبا للسادات بعد أن اطمئن من توافر شرط الطاعة العمياء فيه وتخلص من حسين الشافعي الذي كان يشكل عبأ ثقيل على صدره ، ثم رئيسا للجمهورية ..

جميعنا يتذكره بسحنته الصفراء في بداية حكمه ، كم تمسكن وكم كان متواضعا عندما ظهر في التلفاز جالسا بجوار أحد أعضاء مجلس الشعب وقال له " حضرتك " .. ظننا جميعا أنه موسى حتى اتضح على حقيقته ، فرعونا يحتقر شعبه ويمص دماءه ، السادات وصل إلى نفس النتيجة قبل أيام من رحيله ولم يتمكن من تصحيح أمدح الأخطاء في حياته بإقصاده رغم صدور القرار .. جميعنا يتذكر أحاديث المسكنة والتخدير التي ألقاها علينا :

* لن أرحم أحدا يمد يده إلى المال العام حتى لو كان أقرب الأقرباء ، إنني لا أحب المناصب ولا أقبل الشللية وأكره الظلم ولا أقبل أن يظلم أحد وأكره استغلال علاقات النسب (18 أكتوبر 1981 جريدة مايو) ..

* الكل سواء عندي أمام القانون ونحن لا نريد قانون الطوارئ (20 أكتوبر 1981 جريدة نيويورك تايمز) ..

* لن أقبل الوساطة وسأعاقب لصوص المال العام (26 أكتوبر 1981 مجلة أكتوبر) ..

* مصر ليست ضيعة لحاكمها (المصور 30 أكتوبر 1981) ..

* الكفن مالوش جيوب ، سنعلى من شأن الأيدي الطاهرة (خطاب له في فبراير 1982) ..
وكان الآية الكريمة " فاستخف قومه " كانت تقصده ، وكان فرعون الأقدمين - بما ارتكب في حق المصريين - يقف قزما أمامه ..

أما المدلل جمال مبارك - الذي يخاطب الشعب مستعليا عملا بنصيحة مبارك له - فلا حاجة له بالمرور بهذا الصداق الذي مر به أبوه ، هو يعتقد أنه يحق له أن يبدأ من حيث انتهى إليه أبوه ..

- لم يكن بحاجة إلى دخول الجيش كما فعل شباب مصر لأن أباه أعفاه من خدمة العلم ..
- لم يكن بحاجة إلى أن يكون فقيرا لأنه - مع شقيقه - بدأ حياته العملية في فرض الإتاوات على خلق الله الناجحين في مصر ، وقصصهما مع المرحوم وجيه أباطة وآخرين وأعمال السمسرة التي قاما بها في ديون مصر ونهب ثروتها من خلال الواجهات معروفة عن ظهر قلب للمصريين ..

- لم يعد في حاجة أيضا إلى أن يتمسكن حتى يتمكن كما فعل أبوه ، لأن القوة الأمنية وقوانين الطوارئ التي يعتمد عليهما أبوه توفر له - كما يظن - الخلافة الآمنة ..

إن أرقام المراقبين المستقلين تؤكد أن الأموال المنهوبة باسم عصابة الأربعة التي حولت مصر إلى مزرعة خاصة لهم تقدر بخمسين مليار دولار وهي موضوعة في بنوك خارج مصر ، هذا بالإضافة إلى بعض " الفكة " الموضوعه في أصول داخل مصر باسم زمرة من الواجهات من أمثال أحمد عز وحسين سالم ..

إن جمال مبارك يشارك أباه مشاركة فعلية في حكم مصر منذ عقد من الزمن ووصلت البلاد معهما إلى وضع متفجر .. يتطلب الأمر إذن فتح الكثير من الملفات التي دفع بها مبارك وابنه مصر إلى الوراء ، ولا نبالغ حين نقول أن إصلاح تلك الملفات سيحتاج - في حالة وجود حكومة وطنية خالصة - إلى عقود من الزمن وقد يقضى جيل كامل من أبناء مصر الوقت في ذلك ..

نقدم على حلقات تسع عددا من تلك الملفات المتفجرة التي أوصلت مصر تحت قيادة مبارك وابنه إلى وضع كارثي وكفيل بإلقاء اليأس في نفس كل من يقدم على إصلاحها .. إننا ندرك - ومعنا القراء - أن جميع تلك الملفات متشابكة وأنها تؤثر على بعضها البعض ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com